

تفسير السعدي

@ 580 @ مزخرفة ، وأصوات شجية ، تأخذ من حسنها ، بالقلوب ، ومزاورة الإخوان ،
والتمتع بلقاء الأحباب . وأعلى من ذلك كله ، التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم ، وسماع
كلامه ، والخطوة بقربه ، والسعادة برضاه ، والأمن من سخطه ، واستمرار هذا النعيم ودوامه
، وزيادته على ممر الأوقات ، وتعاقب الآفات ! 2 2 ! دخولها والوصول إليها ! 2 ! 2
يسأله إياها ، عباده المتقون بلسان حالهم ، ولسان مقالهم ، فأَي الدارين المذكورتين ،
خير وأولى بالإيثار ؟ وأي العاملين ، عمال دار الشقاء ، أو عمال دار السعادة ، أولى
بالفضل والعقل ، والفخر ، يا أولي الألباب ؟ لقد وضع الحق ، واستنار السبيل ، فلم يبق
للمفرط عذر ، في تركه الدليل ، فنجوك يا من قضيت على أقوام بالشقاء ، وأقوام بالسعادة
، أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة . ونستعِذ بك اللهم ، من حالة الأشقياء ،
ونسألك المعافاة منها . ^ (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم
عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من
أولياء ول كن متعتهم وآبآءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا * فقد كذبوكم بما تقولون
فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا * وما أرسلنا قبلك من
المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون
وكان ربك بصيرا) ^ يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة ، وتبريهم منهم
، وبطلان سعيهم فقال : ! 2 2 ! أي : المكذبين المشركين ! 2 ! 2 ! مخاطبا للمعبودين
على وجه التقرير لمن عيدهم : ! 2 2 ! هل أمرتموهم بعبادتكم ، وزينتم لهم ذلك ، أم ذلك
من تلقاء أنفسهم ؟ ! 2 2 ! نزهوا الله عن شرك المشركين به ، وبرؤوا أنفسهم من ذلك . ! 2
! 2 ! أي : لا يليق بنا ، ولا يحسن منا ، أن نتخذ من دونك من أولياء ، نتولاهم ، ونعبدهم ،
وندعوهم ، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك ، ومتبرين من عبادة غيرك ، فكيف نأمر
أحدا بعبادتنا ؟ هذا لا يكون . أو ، سبحانه ! 2 2 ! وهذا كقول المسيح عيسى بن مريم
عليه السلام : ^ (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله ، قال : سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ،
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرني به
أن أعبدوا الله ربي وربكم) ^ الآية . وقال تعالى : ^ (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا
يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ^ ، ! 2 2 ! . فلما نزهوا أنفسهم ، أن يدعوا لعبادة

غير ا ، أو يكونوا أضلوهم ، ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا : ! 2 2 ! في
لذات الدنيا وشهواتها ، ومطالبها النفسية . ! 2 2 ! اشتغالا في لذات الدنيا ، وانكبابا
على شهواتها ، فحافظوا على دنياهم ، وضعوا دينهم ! 2 2 ! أي : بائرين لا خير فيهم ،
ولا يصلحون لصالح ، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار ، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى ، وهو
التمتع في الدنيا ، الذي صرفهم عن الهدى . وعدم المقتضى للهدى ، وهو : أنهم لا خير فيهم
، فإذا عدموا المقتضى ، ووجد المانع ، فلا نشاء من شر وهلاك ، إلا وجدته فيهم ، فلما
تبرؤوا منهم ، قال ا توبخا وتقرعيا للمعاندین : ! 2 2 ! إنهم أمروكم بعبادتهم ،
ورضوا فعلكم وأنهم شفعاء لكم عند ربكم ، كذبوكم في ذلك الزعم ، وصاروا من أكبر أعدائكم
، فحق عليكم العذاب . ! 2 2 ! للعذاب عنكم بفعلكم ، أو بفداء ، أو غير ذلك ، ! 2 2 !
لعجزكم ، وعدم ناصركم . هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين ، كما رأيت ، أسوأ حكم ،
وشر مصير . وأما المعاند منهم ، الذي عرف الحق وصدق عنه ، فقال في حقه : ! 2 2 ! بترك
الحق ظلما وعنادا ! 2 2 ! لا يقادر قدره ، ولا يبلغ أمره . ثم قال تعالى جوابا لقول
المكذبين : ! 2 2 ! فما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ، وما جعلناهم ملائكة ، فلك فيهم
أسوة . وأما الغنى والفقر ، فهو فتنة ، وحكمة من ا تعالى ، كما قال : ! 2 2 ! الرسول
فتنة للمرسل إليهم ، واختبار للمطيعين من العاصين ، والرسل فتناهم بدعوة الخلق ،
والغني فتنة للفقير ، والفقر فتنة للغني ، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار ، دار
الفتن والابتلاء والاختبار . والقصد من تلك الفتنة ! 2 2 ! فتقومون بما هو وظيفتكم
اللازمة الراتبية ، فيثيبكم مولاكم ، أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة ؟ ! 2 2 ! يرى
ويعلم أحوالكم ويصطفى من يعلمه يصلح